مجـــلة

جامعة الملك خالد
KING KHALID UNIVERSITY

جامعة الملك خالد

للعلوم الإنسانية

دورية علمية نصف سنوية - محكمة

المجلد الثاني عشر- العدد الثاني (ديسمبر2025)

بسم الله الرحمن الرحيم

عن المجلة:

مجلة جامعة الملك خالد للعلوم الإنسانية دورية علمية نصف سنوية، متخصصة في العلوم الإنسانية، محكمة في آلية قبول البحوث القابلة للنشر بها، وتهدف إلى نشر الإنتاج العلمي للباحثين في تخصصات العلوم الإنسانية، وتعنى بالبحوث الأصيلة التي لم يسبق نشرها باللغتين العربية والإنجليزية التي تتسم بالمصداقية واتباع المنهجية العلمية السليمة.

أهداف المجلة:

- الإسهام في إبراز دور الحضارة الإسلامية في إثراء العلوم الإنسانية.
- نشر البحوث العلمية المحكمة في مجال العلوم الإنسانية بفروعها المختلفة.
- الإضافة إلى مركوم المعرفة في الدراسات الإنسانية.
- إبراز جهود الباحثين في الدراسات والبحوث العلمية ذات الصلة بموضوعات الإنسانيات.

هيئة التحرير:

أ.د. عبدالرحمن حسن البارقي	رئيس التحرير
د. جميلة ناصر آل محيا	مديرة التحرير
أ.د. متعب عالي البحيري	عضو هيئة التحرير
أ.د. مفلح زابن القحطاني	عضو هيئة التحرير
أ.د. عبدالحميد سيف الحسامي	عضو هيئة التحرير
د. أحمد علي آل مريع	عضو هيئة التحرير
د. حمساء حبيش الدوسري	عضو هيئة التحرير

قواعد النشر:

1. تقديم البحث إلى المجلة هو التزام وتعهد من الباحث بعدم انتهاك الحقوق الفكرية.
2. نشر البحث في المجلة يتضمن موافقة المؤلف على نقل حقوق النشر للمجلة.
3. تُقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية.
4. يجب أن يتصف البحث بالأصالة والابتكار والجدة واتباع المنهجية العلمية، وصحة اللغة وسلامة الأسلوب.
5. أن لا يكون قد سبق نشر البحث، أو قُدم للنشر في مكان آخر.
6. أن لا يكون البحث جزءًا من كتاب منشور أو مستلًا من رسالة علمية.
7. أن لا يزيد عدد كلمات البحث عن عشرة آلاف كلمة بما في ذلك الجداول والملاحق والمراجع.
8. في حالة الأبحاث المشتركة (الجماعية) تُرفق اتفاقية موقعة من الباحثين تتضمن نسبة إسهام كل باحث في العمل المقدم للنشر بالمجلة.
9. يلتزم الباحث بتقديم ما يفيد بمصدر تمويل الأبحاث في حالة وجود دعم لتلك الأبحاث.
10. أن يحتوي البحث على عنوان باللغتين العربية والإنجليزية، وعلى ملخصين باللغتين في حدود (250) كلمة لكل ملخص، ويتضمن الملخصان الهدف، والمشكلة، والمنهج، وأهم النتائج، والكلمات المفتاحية.
11. دفع رسوم التحكيم والنشر في المجلة بمقدار ألفي ريال.
12. إرفاق سيرة ذاتية مختصرة للباحث/ين في صفحة مستقلة.
13. إرفاق شهادة تدقيق لغوي للأبحاث المكتوبة باللغة الإنجليزية.
14. استخدام نظام جمعية علم النفس الأمريكية (APA) في التوثيق داخل النص وفي كتابة المراجع.
15. رومنة المصادر والمراجع العربية بعد كتابتها بالعربية مباشرة، وقبل الانتقال إلى المصادر والمراجع بلغة أجنبية.
16. تكتب البحوث العربية بخط Traditional Arabic حجم 16 للمتن، و 12 للهوامش.
17. تكتب البحوث الإنجليزية بخط Times New Roman حجم 12 للمتن، وحجم 10 للهوامش.
18. المسافة بين الأسطر.(1.0)

19. يوضع عنوان البحث وصفة الباحث في صفحة مستقلة على النحو الآتي: العنوان بالعربية بمقاس 20، واسم الباحث مقاس 18، وصفته مقاس 14، وباللغة الإنجليزية العنوان مقاس 16، واسم الباحث مقاس 14، وصفته مقاس 12.
20. تُراعى الشروط الفنية لنوع الخط وحجمه في الأبحاث التي تتضمن اللغتين العربية والإنجليزية.
21. على الباحث الالتزام بالتعليمات الفنية، والتدقيق اللغوي قبل إرسال بحثه إلى المجلة.

يُقدَّم البحث من خلال نظام التحرير للمجلات العلمية بجامعة الملك خالد على موقع المجلة أو موقع وحدة المجلات والجمعيات العلمية بجامعة الملك خالد.

الترقيم الدولي: ISSN: 1685-6727

أبحاث العدد:

م	البحث	الصفحة
1	رصد الألفاظ الدخيلة في العربية الحديثة: دراسة في الشيوع والدلالة والأصل اللغوي من خلال مدونة لغوية د. عبدالعزيز بن عبدالله صالح المهيوبي	1-34
2	موضوعات الكتابة وأثرها في جودة الأداء الكتابي لدى متعلمي اللغة العربية الناطقين بغيرها: دراسة تحليلية تطبيقية د. مشاعل بنت ناصر آل كدم	35- 70
3	القياس والتقويم في سياق تعليم العربية لغة ثانية لأغراض خاصة د. مرزوق علي محمد النباتي الهذلي	71-109
4	الظواهر الأسلوبية في شعر جاسم الصَّحيّح: قصيدة "المتنبّي...كون في ملامح كائن!" أنموذجًا د. هيا فهيد سعد القحطاني	110-139
5	تعدد العوالم وتراكب الرموز في رواية الدوائر الخمس لأسامة المسلم: قراءة في بنية السرد الغيبي والواقعي د. منار عز الدين محمد شعيب	140- 170
6	السُّلطة والمقاومة في رواية "العاشق والغزاة" دراسة أركيولوجية د. لينة أحمد حسن آل عبد الله	171- 200
7	واقع الدراسات الثقافية في الجامعات السعودية: الفرص والتحديات في ظل التوجه الأكاديمي نحو الدراسات البينية د. غزال بنت محمد الحربي	201- 231
8	الروائي بين الذاتي والالتزام الفني د. عادل بن محمد عسيري	232- 257
9	المثل الشعبي في منطقة عسير: دراسة إنشائية لنماذج مختارة د. صالح بن أحمد السهيمي	258- 279
10	تجليات الذات في ديوان "فاصلة، نقطتان" لشيخة المطيري، دراسة سيميائية د. خليف بن غالب بن مبارك الشمري	280- 312
11	تقنيات التجريب المسرحي في مسرحية "كبرياء التفاهة في بلاد اللامعنى" للسيد حافظ د. إبراهيم عمر علي المحاثلي	313- 342
12	جماليةُ الخِطابِ وقراءةُ المعنى في شعرِ صفوانَ بنِ إدريس المرسي: (دراسة سيميائية) د: عبد الله بن عطية بن عبد الله الزهراني	343- 365
13	حالة الانتظار في الشعر العذري دراسة نفسية أسلوبية د. عمر بن نوح بن ثامر المطيري	366- 397

م	البحث	الصفحة
14	المؤشرات اللغوية والسلالم الحجاجية في آيات البعث في القرآن الكريم د. فاطمة بنت عبدالله علي عبدالله	398- 431
15	بلاغة الإشهار والتشهير في الخطاب السجالي: قصيدة الدامغة لجرير ونقيضتها أنموذجًا. د. شيخة علي عسيري	432- 469
16	تجديد البلاغة العربيّة في المملكة العربيّة السعوديّة: مشروع البلاغة الكونيّة عند سعود الصّاعدي أنموذجًا د. غادة محمد ذاكر الزبيدي	470- 495
17	أثر اضطراب كرب ما بعد الصدمة لدى الأمهات الناجيات من العنف الأسري على الأمن النفسي والسلوك العدواني لدى الأبناء أ. علياء فهد العتيبي	496- 524
18	سياسات المملكة العربية السعودية في التعامل مع المقيمين السوريين خلال الأزمة: دراسة اجتماعية تحليلية مقارنة للنهوج السعودية والتركية والألمانية تجاه أزمة اللجوء السوري د. شروق إسماعيل الشريف	525- 562
19	التحليل المكاني لتوزيع وتطور القرى في محافظة خليص باستخدام الاستشعار عن بعد ونظم المعلومات الجغرافية د. مليحة حامد العبدلي	563- 606
20	تطبيقات الاستشعار عن بُعد ونظم المعلومات الجغرافية والذكاء الاصطناعي المكاني في حصاد مياه السيول بوادي المصير - نيوم - المملكة العربية السعودية د. نجاة سعيد محمد الشهراني	607- 649
21	التحليل الطبوغرافي لمحمية الملك عبدالعزيز الملكية وأثره على توزيع الغطاء النباتي باستخدام محرك GOOGLE EARTH ENGINE د. وداد حمدان الروقي	650- 681
22	دراسة تحليلية مقارنة للخصائص المورفولوجية بين وادي الحنو ووادي خمال شمال محافظة ينبع، باستخدام نظم المعلومات الجغرافية (GIS) د. صباح سلطان نغيمش الفريدي	682- 698
23	مصانع الأدوية في المملكة العربية السعودية: دراسة تحليلية باستخدام نظم المعلومات الجغرافية مرام محمد ناصر المقيطيف	699- 730

تجديد البلاغة العربيّة في المملكة العربيّة السعوديّة
مشروع البلاغة الكونيّة عند سعود الصّاعدي أنموذجًا

د. غادة محمد ذاكر الزبيدي
أستاذ البلاغة والنّقد المساعد بالكلية الجامعية بالقنفذة – جامعة أم القرى

Renewing Arabic Rhetoric in the Kingdom of Saudi Arabia: The Project of Universal Rhetoric in the Thought of Saud Al-Saidi as a Model

Dr. Ghada Mohammed Thakir Al-Zubaidi
Assistant Professor of Rhetoric and Criticism, Al-Qunfudhah University College, Umm Al-Qura University

ملخّص البحث

يتناول هذا البحث مشروع البلاغة الكونيّة عند سعود الصّاعدي، بوصفه أحد أبرز محاولات تجديد الدّرس البلاغيّ في المملكة العربيّة السعوديّة. ويهدف إلى الكشف عن أصول المشروع ومنطلقاته؛ للإسهام في إثراء وتطوير البحث البلاغي والنقدي العربي. وينطلق البحث من تساؤلات رئيسة، وهي: ما المقصود بالبلاغة الكونيّة؟ وما أهم الرّوافد المعرفيّة والفكريّة التي أسهمت في تشكّل مشروعه؟ وكيف تجلّت تصوّراته النّظريّة في التّطبيق؟

واعتمد البحث ثلاث مقاربات قرائيّة: قراءة سياقيّة تضع المشروع ضمن إطاره الثّقافيّ والبلاغيّ، مبرزة دوره في تجديد الدّرس البلاغيّ. وقراءة تأصيليّة تكشف عن جذوره الفكريّة والعلميّة التي تجلّت في العودة إلى نماذج بلاغيّة تراثيّة، منها: النّموذج البياني عند الجاحظ، والنموذج البلاغيّ الثلاثيّ عند السّكاكي، والنّموذج البديعيّ. كما تجلّت في تصوّرات بلاغيّة جديدة منها المعنى التّكليفي والمعنى التّثقيفي، والتّأويل التّقابلي، والاستعارة التّصوّرية. وقراءة نسقيّة تربط بين مقولات المشروع وتصل إلى بناء نسقي متكامل يكشف عن رؤيته التي تتجاوز حدود النّص إلى أفق كوني، يربط بين الإنسان واللُّغة والوجود، مستثمرًا الإرث البلاغيّ العربي مزجا بآليات فكريّة وفلسفيّة حديثة؛ حيث تتّسع البلاغة لتشمل علاقة الإنسان بالكون، وتتحول من سؤال الإعجاز إلى سؤال الإنجاز، أي من التّركيز على النّص المعجز إلى تفعيل دوره في إنتاج المعنى داخل الواقع الإنساني بما يجعل البلاغة إطارًا لفهم العلاقات بين الإنسان والوجود، وبين الفكر والواقع. وبهذا يمثّل المشروع محاولة لتأسيس نسق بلاغي جديد، يوازن بين الأصالة والمعاصرة، ويقترح آفاقًا أرحب للبحث البلاغيّ تربطه بالعلوم الإنسانيّة والفكر الفلسفي والاجتماعي. وخلص البحث إلى أن مشروع البلاغة الكونيّة يسعى إلى إعادة صياغة البلاغة العربيّة بما يجعلها قادرة على الاستجابة لتحدّيات العصر، وتقديم أدوات لفهم الوجود الإنساني في بعديه النّصي والكوني.

الكلمات المفتاحيّة: تجديد البلاغة – البلاغة الكونيّة – فلسفة – الصّاعدي

Abstract

This study examines Sʿūd al-Sāʿidī's project of Universal Rhetoric, viewing it as one of the most significant contemporary attempts to renew rhetorical studies in Saudi Arabia. It aims to uncover the project's intellectual foundations and guiding principles, thereby contributing to the enrichment and development of modern Arabic rhetorical and critical inquiry. The research is driven by key questions: What is meant by Universal Rhetoric? What are the principal intellectual and cognitive sources that shaped its formation? And how are its theoretical conceptions manifested in practice?

The study adopts three interpretive approaches. The contextual approach situates the project within its broader cultural and rhetorical framework, highlighting its role in revitalizing rhetorical discourse. The genealogical approach traces the project's intellectual and scientific roots, evident in its engagement with classical rhetorical models such as al-Jāḥiẓ's Bayān model, al-Sakkākī's tripartite rhetorical system, and the Badīʿ model. It also explores new rhetorical conceptions such as obligational meaning, cultural meaning, contrastive interpretation, and conceptual metaphor. The systemic approach connects the project's core propositions to construct an integrated framework that reveals a vision extending beyond the text toward a universal horizon linking language, humanity, and existence. By merging the Arab rhetorical heritage with modern philosophical and intellectual frameworks, the project seeks to expand rhetoric from a concern with miraculous discourse to a dynamic engagement with human meaning-making. Ultimately, it establishes a new rhetorical paradigm that harmonizes authenticity and modernity, positioning rhetoric as a field capable of addressing contemporary challenges and interpreting human existence in both textual and cosmic dimensions

Keywords: Rhetoric Renewal – Cosmic Rhetoric – Philosophy – Al-Saedi

المقدّمة

حظي الدّرس البلاغيّ عبر تاريخه بنظرات ومراجعات يرتبط كلٌّ منها بظروف العصر الذي انبثقت منه، وظفر في مسيرته منذ المؤسسين الأوائل برؤى هيّأت له قابليّة التّجديد والامتداد. وفي العصر الرّاهن تبنّى بعض الباحثين المعاصرين مشاريع بحثيّة تقوم على أهداف معرفيّة جليّة، وتصورات تنجز بناء على جذور عريقة، محاولين وضع المقترحات التي تفيد من المعطى البلاغيّ الأصيل في معالجة النّصوص والخطابات المختلفة. وتأتي هذه الدّراسة لتعرض مشروعا من مشاريع تجديد البحث البلاغيّ في المملكة العربيّة السعوديّة وهو مشروع البلاغة الكونيّة عند سعود الصّاعدي، وتسعى إلى الكشف عن التّصور والإجراء الذي يقوم عليه المشروع من خلال الوقوف على الأصول الفكريّة المؤطّرة له، ومعرفة دورها في صياغة المشروع نظريّا، ثم فحص الإجراء التّطبيقي[1].

مشكلة الدّراسة وأسئلتها:

تكمن مشكلة الدّراسة في تصوّر مؤداه أنّ ثمة منطلقات معرفيّة وموجّهات فكريّة تسهم في تشكيل مشاريع تجديد الدّرس البلاغي وتؤثّر في مسارها، ويمثّل مشروع البلاغة الكونيّة أحد هذه المشاريع المبنيّة على التّلازم بين الأصول التّراثيّة والنّظريّات الجديدة، وهي منطلقات لا تنفصل عن السّياق المعرفيّ والثّقافي للدّرس البلاغيّ في المملكة العربيّة السعوديّة وفي السّاحة العربيّة بشكل عامّ. وينبثق عن ذلك تساؤلات حول قدرة البلاغة الكونيّة على الإسهام في تطوير البحث البلاغيّ، ومدى إمكانيّة الإفادة من المعطى البلاغيّ الأصيل في معالجة النّصوص المعاصرة. ومن هنا تأتي أهميّة تحليل المشروع للكشف عن عناصر التجديد فيه وتحديد أبعاده النظريّة والإفادة من إجراءاته التّطبيقيّة. وبناء عليه فإنّ الدّراسة تجيب عن الأسئلة الآتية: ما المقصود بالبلاغة الكونيّة؟ وما موقعها من الدرس البلاغي في المملكة العربية السعودية؟ وما أهمّ الرّوافد التي رفدت المشروع؟ وكيف تجلّت تصوّراته النّظريّة عند التّطبيق؟

أهداف الدراسة:

تسعى هذه الدّراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، أبرزها:

1) قدمنا محاولة أخرى تحت عنوان: مشاريع تجديد الدّرس البلاغيّ في المملكة العربيّة السعودية: مشروع بلاغة النّص العلمي عند عبد الله بانقيب أنموذجا، وعالجنا المشروع بثلاث أدوات قرائية نعتقد أنها صالحة لمعالجة هذا المشروع أيضا، وهي القراءة التأصيلية التي تبحث في جذور المشروع وأسسه النّظريّة، والقراءة السياقية التي تربط المشروع بظرفه التاريخي والثّقافيّ، والقراءة النّسقيّة التي تعالج المشروع بعدّه نسقا علميا متكاملا يضم جملة من المفاهيم والأدوات والعلاقات. وسنستخدم الأدوات نفسها في هذه الدّراسة مع اختلاف طفيف في كيفية التوظيف.

- تحليل آليّات التّوظيف البلاغيّ المعاصر ممثّلا في البلاغة الكونيّة، ومعرفة موقعها من الأصول البلاغيّة التراثيّة لإظهار القيمة العلميّة للمشروع.
- إظهار بعض مظاهر التّداخل المعرفي بين البلاغة والحقول المجاورة لأنّ البلاغة الكونيّة تمتح من مجالات معرفيّة متعدّدة، منها الفلسفي، والدّيني، والاجتماعي، والنّفسي، وغير ذلك.
- إبراز دور الأكاديمي السّعودي في إثراء الدّرس البلاغيّ وتوسيع حدوده.
- اقتراح آفاق جديدة للبحث البلاغيّ تستند إلى مشروع البلاغة الكونيّة.

الدّراسات السّابقة:

حظي مشروع البلاغة الكونيّة بمقالتين –في حدود ما نعلم – قدّم فيها الباحثان محاولتين لقراءة المشروع وهما:

–وائل العمري، قراءة في مشروع البلاغة الكونيّة، (جريدة الجزيرة، 2024م) استعرض فيها الباحث السّياق العلمي للمشروع، وحاول تتبّع بناء نموذجه الكوني في معالم القرية، مؤكّدا أنّ البلاغة الكونيّة لا تخلو من التّعقيد لارتباطها بالمقدرة التّأويليّة التي تجعلها أقرب إلى الصّبغة التّأمّلية.

–فاطمة محسن عقيبي، معالم البلاغة الكونيّة عند سعود الصّاعدي: قراءة في تأويل البلاغة العربيّة من منظور فلسفي كوني (المختبر السعودي للنقد، 2025م) عالجت الباحثة المشروع انطلاقا من أنّ اللُّغة ليست وسيلة تواصليّة فحسب، بل هي أداة يفهم بها الإنسان عالمه. وعليه فالبلاغة الكونيّة تتحوّل إلى جسر يربط بين الفكر والواقع، بين المعنى والوجود. وقدّمت الدّراسة قراءة أخرى للمشروع قصد تقريبه للقارئ.

وعلى الرّغم من الأهميّة العلميّة للمقالتين فإنّ مشروع البلاغة الكونيّة لم يحظ بقراءة شموليّة تبحث في أصوله المنهجيّة، وأنساقه البانية له، وسياقاته الفكريّة والعلميّة، فجاءت هذه الدّراسة محاولة بسط هذه الموضوعات وتقديمها للباحث البلاغيّ.

منهج الدّراسة:

وأمّا فيما يتعلق بمنهج الدّراسة فقد اتّبع عددا من الإجراءات نوردها في النّقاط الآتية:

–تحاول الدّراسة فحص المشروع من خلال العناصر التي تكوّن منها بغرض الكشف عن بنيته وأسسه.

–لن تقف الدّراسة عند المفاهيم البلاغيّة الواردة إلا ما يشكّل منها منطلقا رئيسا للمشروع؛ مراعاة لحدود البحث.

-ستكتفي الدّراسة بذكر بعض الإجراءات التّطبيقيّة التي توضّح طريقة التّحليل في المشروع، ولن تعرض لكل إجراءاته التّطبيقيّة لأنّ الإجراءات الواردة ستنعكس على مجمل النّماذج التطبيقيّة التي سيعرض لها الصّاعدي في مشروعه.

وبناء على ذلك جاءت الدّراسة في مقدمة وثلاثة مباحث متبوعة بخاتمة. وضّحت المقدّمة أهميّة الموضوع، وأقسام الدّراسة، والإجراءات المنهجيّة المتّبعة. ودرس المبحث الأول السّياق الثّقافيّ والعلمي للمشروع من خلال ربطه بسؤاله المعرفي وعنوانه: البلاغة الكونيّة وسؤال الإنجاز، قراءة سياقيّة. ودرس المبحث الثاني أصول المشروع النّظريّة وجذورها وعنوانه: أصول التّفكير وبناء التّصور، قراءة تأصيليّة. ودرس المبحث الثالث الإجراءات التّطبيقيّة للمشروع وعنوانه: تجليّات البلاغة الكونيّة التّطبيقيّة، قراءة نسقيّة. ثم ختمت الدّراسة بأبرز النّتائج التي توصّلت إليها.

المبحث الأوّل: البلاغة الكونيّة وسؤال الإنجاز، قراءة سياقيّة.

تأتي محاولة سعود الصاعدي[1] في البلاغة الكونيّة حاملة لملامح مشاريع تجديد الدّرس البلاغيّ المبنيّة على إعادة قراءة التّراث، قراءة تستلهم منجزات الدّرس البلاغيّ الجديد. ولا نعني بالجديد هنا مقابلة القديم، إنما نقصد ما يفهم عند إطلاق مفهوم البلاغة الجديدة؛ حيث تصف "أنواعا، وخطابات، وخصائص، وسياقات بلاغيّة معاصرة متنوعة" (عبد اللطيف، 1442هـ، ص21). كما لا نعني المفاضلة بين الحقلين، بل المقصود هو الوقوف على كيفيّة تطوّر الدّرس البلاغيّ وانتقاله من سياق إلى آخر، ومحاولة رصد التحوّلات التي تطرأ على مفهوم البلاغة في ضوء المستجدات المعرفيّة استنادا إلى الأصول البلاغيّة التّراثيّة.

ولا يخفى أنّ الدافع الجامع لمشاريع إعادة قراءة البلاغة ينبع من رغبة الباحثين المعاصرين في مواجهة التّهم التي وجّهت للبلاغة العربيّة في فترات مختلفة من تاريخها، من قبيل القول هي بلاغة الجملة، وبلاغة الشّاهد والمثال، أو القول بمعياريّة البلاغة العربيّة، أو القول بموتها. وعليه فإن هذه المشاريع البلاغيّة تهدف إلى رفع التّهم من خلال الإفادة من المعطى البلاغيّ نفسه، والإجابة عن التّساؤلات المعرفيّة حول طبيعة البلاغة بعدّها نظريّة للوجود، كما تهدف إلى توسيع أفق البحث البلاغيّ ومدّه إلى نطاقات النّصوص بمختلف أنماطها وأنواعها، علميّة وأدبيّة، واستثمار الأدوات البلاغيّة القديمة والجديدة في تحليل هذه النّصوص لأنّ العقل البلاغيّ يتعامل مع البلاغة على أنها نسق متكامل، "تتسع وتضيق، تغير وجوهها، وتنوع منهجياتها، وتطور مقارباتها طوال الوقت لتستجيب لتحديات زمنها"(عبد اللطيف، 1442هـ، ص21).

وجاءت إعادة قراءة التّراث في البلاغة الكونيّة قراءة تثويريّة، بمفهوم جابر عصفور للقراءة التثويريّة (2017م، ص52). ومعنى ذلك أنها قراءة تحاول تقديم رؤية بلاغيّة جديدة، ولا تكتفي بفهم النّص فهما جديدا؛ بل تعيد

---

1) سعود حامد مرزوق الصّاعدي، ناقد وبلاغي وأكاديمي سعودي، رئيس قسم الدّراسات العليا العربيّة ورئيس قسم البلاغة والنقد بكلية اللُّغة العربيّة بجامعة أم القرى سابقا. أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللُّغة العربيّة بجامعة أم القرى حاليا، صدر له:

- تأويل النّص، دراسة في العلاقة المشتركة بين تأويل الرؤيا وقراءة النّص الشعري، (الأعمال الثّقافيّة بجدة، 2008م).
- خارج العالم، رواية (الرياض: دار وجوه للنشر والتوزيع، 2009م).
- ساعة الرمل، رواية (الدمام: دار أثر للنشر والتوزيع، 2012م).
- صناعة البيان بحث في الموازنة بين صور المعاني، (لبنان: مؤسسة الانتشار العربي، 2013م).
- الساحلي، رواية (لبنان: مؤسسة الانتشار العربي، 2015م).
- عين شمس، رواية (بيروت: دار الفارابي، 2017م).
- البلاغة الكونيّة من الإعجاز إلى الإنجاز دراسة تأويليّة في فلسفة النّموذج البلاغيّ، (عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط1، 2020م).
- ثالثة الأثافي، رواية (دار مدارك للنشر، 2022م).
- معالم القرية الكونيّة دراسة في لطائف المعاني التّثقيفيّة نموذج قرآني كوني، (الرياض: دار أدب للنشر والتوزيع، ط1، 1445هـ).

تأويله وإنتاجه بمنظور يختلف عن السّائد ويتجاوز النّظر البلاغيّ التّقليدي إلى ربط النّص بالوجود، وربط المعنى بمعان نفسيّة جديدة ينتجها الإنسان بعد تأمّله وتدبّره للكون وعلاماته.

بناء على ما سبق، فقد أسّس الصّاعدي مشروع البلاغة الكونيّة في جانبين: نظري وتطبيقي. وهما متجليان في كتابين: الأول (البلاغة الكونيّة من الإعجاز إلى الإنجاز دراسة تأويليّة في فلسفة النّموذج البلاغيّ)، ويعدّ فاتحة المشروع وأساسه النّظري، وتبعه كتاب (معالم القرية الكونيّة دراسة في لطائف المعاني التّثقيفيّة نموذج قرآني كوني) وهو مقاربة تطبيقيّة تربط بين جملة من المعالم الكونيّة والمفاهيم البلاغيّة.

ينطلق المشروع من تصوّر البيان حدّا للبلاغة، ولأنّ مصطلح البيان عند الصّاعدي متّسع يشمل اللُّغة وشتّى وسائل التّعبير الممكنة، وكل ما له دور في تأدية المعنى سترتكز البلاغة الكونيّة على مفهوم البيان أوّلا. أمّا مفهوم الكونيّة فمستل من الفضاء الكوني بالمعنى العام، والكونيّة عند الصّاعدي مقصورة على معنى "الكليّة والشّمول التي نستلهمها من الفضاء الكوني" (2020م، ص23). أمّا الفضاء الكوني فهو فضاء "شامل ومؤثر على التّلقي الجمالي للإنسان، وكلّ ما ينتجه الإنسان مما له طبيعة كونيّة في إطار هذا الفضاء يصدق عليه هذا المفهوم" (الصاعدي، 1439هـ، ص 257)، وهذا يعني أنّ الصّاعدي أعلن استعارته المفهوم الكوني وما يدلّ عليه في طبيعته، دون استعارة مفهوم الكونيّة فلسفيّا لأن مصطلح الكونيّة فلسفيّا "له مفهوم آخر بمعنى تابع للفيلسوف الكوني، لا الفيلسوف العادي الذي يكتفي بقبول المفاهيم التي تمنح له مقتصرا على إعادة إنتاجها وصقلها...لكن الكوني هو الذي يبدأ بصنعها وإبداعها في عقله الباطن" (دحماني، 2015م، ص44). وهذا لا يتناسب وأصالة المشروع وهدفه؛ إذ يعدّ الصّاعدي مشروعه لبنة في البناء البلاغيّ، دون إنكار المنجز التّراثي البلاغيّ وهدمه، ودون ادعاء صنع جديد وخلقه؛ بل بإعادة قراءته قراءة واعية تتغذى من جذوره وتنمو على تربته. والذي يؤكّد ذلك أنّ الصّاعدي يعدّ القرآن الكريم كتابا كونيّا يمكن الانطلاق منه إلى كونيّة البلاغة لأنّ "استلهامه والانطلاق من رؤيته في تأصيل مفهوم الكونيّة هو ما يجعل هذا المفهوم قابلا للاتساع والشمول" (2020م، ص23). فبالرجوع إلى لغة القرآن الكريم التي أمدّت الباحثين والنّقاد بمادة غنيّة، فُتح الأفق البياني إلى الكليّة والشموليّة التي ترومها البلاغة الكونيّة.

إنّ السؤال الرّاهن للبلاغة عند الصّاعدي هو سؤال الإنجاز الذي تشكّل انطلاقا من سؤال الإعجاز؛ لأنّ "إجابته هي التي تحدّد الهويّة والرُّؤية معا كما تحدّد المعالم الكبرى التي ينبغي لدارس البلاغة أن يسير في ضوئه" (2020م، ص21). ومن المعلوم أنّ أولى علامات انتقال البلاغة من الإعجاز إلى الإنجاز تجلّت في بلاغة عبد القاهر الجرجاني الذي نقل البحث البلاغيّ من دائرة المعجز إلى دائرة المنجز نقلا أفاد منه البلاغيّون بعده. ولعلّ الإجابة عن سؤال الإنجاز في البلاغة الكونيّة تتجلّى في الاستناد إلى عدد من الآليات وأهمها هو الانتقال

من التّمثيل إلى التّمثُّل؛ حيث تصبح "مباحث البلاغة ومسائلها ماثلة للعيان بدلا عن أن تكون أمثلة للبيان" (2020م، ص15). ويريد بالتّمثيل ما أراده عبد القاهر الجرجاني، أي تمثيل الأمور المعقولة بجعلها شاخصة في صورة حسيّة، أو هو "انتقال المعنى من حيز المعقول إلى حيز المحسوس" (أبو موسى، ص 1431هـ، ص374). فوجد الصّاعدي عند قراءة كونيّة الجبل وتلقي الوحي –مثلا– أنّ التّمثيل يسهم في تقريب المعنى (1445هـ، ص52)، وفي إبراز الأثر الكامن في الاستجابة للوحي، وفي إيضاح العلاقات بين الأشياء (1445هـ، ص55)، لكن النّظر البلاغيّ الكوني يجب أن ينتقل بالمعنى إلى أفق أرحب وهو ما تقرر عنده بالتّمثُّل. والتّمثُّل مفهوم "يتبلور حسب النّظريّات التي تعمل على توضيح معالمه والاستفادة مما قد يقدمه في فهم السلوك البشري" (النهاري، 2019م، ص30). لكنه يُفهم عند الصّاعدي في قوله "بحيث تستحيل اللُّغة في هذا السياق إلى وجود ماثل للعيان... وفي هذه النقلة ما يعزز التّمثُّل البلاغيّ للعالم" (1445هـ، ص133). فماثلة للعيان تشير إلى صورة مجسّدة في هيئة ماديّة محسوسة، تصبح معها الرُّموز الكونيّة معالم مكانيّة ماثلة من خلال مفهوم النّصبة –كما سيمرّ بنا بعد قليل–، ومع هذه المعالم يحضر الإنسان متدبّرا لها فيصبح فاعلا في أرضه ومجتمعه.

ثمّ يحدّد اتجاه مشروعه بأنّه دراسة تأويليّة في فلسفة النّموذج البلاغيّ، وهذا بدوره يحدّد لنا أداتين واضحتين: أولاهما: النّظر الدّقيق في التّصور البلاغيّ التّراثي انطلاقا من المفهوم العام للفلسفة، وثانيتهما: التّأويل مع وجود الدّليل وسبيله التّثقيف. تتجلّى الأداة الأولى في البناء النّظري واستلهام عناصر التّراث البلاغيّ ومزجها بعناصر جديدة، وتتجلّى الثّانية في التّطبيق وإعداد النّموذج البلاغيّ الكوني، وهذا ما نحاول بيانه في الفقرات القادمة.

المبحث الثّاني: أصول التّفكير وبناء التّصور، قراءة تأصيليّة.

استلهم الصّاعدي جملة من المقولات البلاغيّة تراثيّة وجديدة لصياغة البلاغة الكونيّة. يتجلّى الرّافد البلاغيّ التّراثي في ثلاثة نماذج أصيلة، هي (النّموذج البياني عند الجاحظ، والنّموذج البلاغيّ عند السّكاكي، والنّموذج البديعي). كما رفدت الاتجاه بعض المقولات والمقاربات البلاغيّة الجديدة التي قامت على قراءة التّراث، وهي (المعنى التّكليفي والمعنى التّثقيفي عند محمود توفيق، والتّأويليّة التّقابليّة عند محمّد بازي)، وأفاد الصّاعدي أيضا في مشروعه من بعض النّظريّات الحديثة، ومن ذلك نظريّة الاستعارة التّصوريّة، كما أفاد من بعض الأفكار والمقولات التي صاغها مفكرو وفلاسفة العصر الحديث[1].

أولا: الرّافد البلاغيّ التّراثي

1- النّموذج البياني عند الجاحظ.

لا يخفى ما ناله مفهوم البيان عند الجاحظ من اهتمام خاصة في إطار تجديد البلاغة العربيّة؛ وذلك لكثافة الدّلالات التي يتضمنها، ولاتساع مفهومه؛ حيث سجّل للجاحظ نظراته "التي وسّع من خلالها في أصناف الدّلالة على المعاني لتشمل اللفظ وغيره ... وحتى ما كان صامتا من هذه الأصناف – وهو ما تحدث عنه باسم النّصبة – فإنه لا يعدو أن يكون من قبيل العلامات الطبيعية التي تحمل دلالاتها في سياق المنظومة السيميوطيقية" (راضي، 2006م، ص89). وهذا يكشف عن شموليّة المفهوم وتعدد دلالاته مما أتاح له التّكيّف مع جملة من المفاهيم العقليّة والتّأويليّة. وقد ارتبط البيان عند الجاحظ برغبة الإنسان في الإبانة عن المعاني المضمرة، واختلفت إثر ذلك أنواع الدّلالات على المعاني فعدّها خمسة، يقول:

"وجميع أصناف الدّلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة. والنّصبة هي الحال الدالة التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدّلالات، ولكل واحد من هذه الخمسة صورة بائنة من صورة صاحبتها، وحلية مخالفة لحلية أختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السار والضار، وعما يكون منها لغوا بهرجا، وساقطا مطرحا"(1414هـ، ص82). وقد أسهبت الدّراسات في بحث فلسفة هذه الدلالات وتأويلها، وهذا مما ليس في حدود هذه الدّراسة.

1) اتضح لنا من خلال قراءة المشروع إفادة الصّاعدي من منجزات الفلاسفة والمفكرين في العصر الحديث، نذكر من ذلك:
- استلهام فلسفة طه عبد الرحمن في تصورات مختلفة منها: الربط بين الآية الكونيّة والظاهرة الكونيّة.
- استلهام فكر عبد الوهاب المسيري في العلاقة بين بنية اللُّغة وبنية المجتمع.
- استلهام بعض مقولات المفكر مالك بن نبي في عالم العلاقات.

وتعدّ البلاغة الكونيّة من المشاريع البلاغيّة التي أفادت من مفهوم النّصبة تحديدا؛ بل ارتكزت عليه وجعلت منه منطلقا. فقد صدّر الصّاعدي مشروعه التّطبيقي (معالم القرية الكونيّة) بمفهوم النّصبة عند الجاحظ، مؤكدا أن النّصبة أهم عنصر من عناصر البيان المعرفي (2020م، ص 234)، وأنّ الجاحظ قد قرّر منذ وقت مبكر أنّ "العالم نص مفتوح وبيان ناطق بالحال" (1445هـ، ص11). ولما كانت دلالة النّصبة تمتلك طبيعة خاصة تحتاج إلى من يتبيّنها بواسطة العقل، (راضي، 2006م، ص89)، فقد ذكر الصّاعدي أنّ للكون كله دلالات يمكن استنطاقها وتأويلها، وعلى ذلك فإنّ القدرة على فهم هذه الدّلالات ستتيح للبلاغة الخروج من بلاغة البيان إلى بلاغة الكون؛ أي "من النّص البياني المكتوب إلى النّص الكوني المنظور". (2020م، ص234).

وإذا قلنا: إنّ دلالة النّصبة "رهينة الإدراك المباشر والاعتبار، وما توحي به الحال لذهن المتبصر؛ إذ هو ناطق من جهة الدّلالة". (صمود، 2010م، ص145)، وإنّ هذه الدّلالة قوامها مدى مقدرة الذّهن على استنطاقها تبيّن لنا الإجراء الذي اتّبعه الصّاعدي في توظيف النّصبة. فقد ذكر أن جهده سيكون بحثا عن نموذج كوني يرصد من خلاله العلامات المنصوبة، وربطا بين المعالم الكونيّة وما تشير إليه من مفاهيم، بمعنى أنه سيربط بين المعاني المتغيرة وما تشير إليه في الواقع. لأجل ذلك اتّسع مفهوم البيان عند الصّاعدي اتّساعه عند الجاحظ، فلم يقصره على البيان القولي؛ بل تجاوزه إلى سلوك الإنسان وإلى المجتمع الذي يتحرّك فيه. وسلك مسلكا نقل تجربة الإنسان داخل مجتمعه عن طريق المستوى البياني الاستعاري المجازي، والمستوى البديعي الجمالي التّشكيلي. وهذا بدوره نقل البلاغة إلى فضاءات بينيّة، تداخل فيها البلاغيّ والفكري والنّفسي والاجتماعي، وبتعبير الصّاعدي نفسه، إنّ العودة إلى دلالة النّصبة "فتحت الأفق البلاغيّ للمقاربة البينية بين الحقول، فساعد ذلك على الكشف عن العلاقات البينيّة والبنيويّة بين علوم البلاغة والعلوم الأخرى". (2020م، ص234). وكان سبيله إلى المنهجيّة في إيجاد العلاقات البينيّة هو الإفادة من ثنائية الحقيقة والمجاز، "فكان المنهج بأدواته نابعا من البلاغة نفسها؛ إذ تم الكشف عن العلاقات إما بطريق الرّبط الذي يراعي العلاقة بين الطرفين، وإما بطرّيق الربط الذي يراعي العلامة ... فكان كل عملنا محكوما بما بين العلاقة والعلامة". (2020م، ص9).

ولما كانت دلالة النّصبة مدخلا كونيّا لجملة من التّأويلات "باعتبارها إطارا للعلامات الدالة" (2020م، ص196)، أفاد منها الصّاعدي في تحويل المكان إلى علامة نصيّة، تُقرأ في سياقها الثّقافيّ والمقامي لأن "قراءة الفضاء المكاني في أفق هذا التّصوّر يعد نوعا من التّلقي لبلاغة الكون، إمّا من طريق العلامات أو من طريق الآيات"، (2020م، ص197). ومن هذا الباب قرأ الصّاعدي كونيّة الصحراء إذ عدّها علامة كبرى "تنطوي على مجموعة من الدّلائل المنصوبة التي تفضي إلى مدلولات يحكمها السياق"، (2020م، 195).

ثم قابل بين الصحراء والغابة تأويلا تقابليّا خلص منه إلى فروقات بين الصحراء والغابة تتعلق بالقيم الحضاريّة والثّقافيّة والبيانيّة لكل منهما.

ومن المهم أن نشير هنا إلى أن ارتكاز البلاغة الكونيّة على دلالة النّصبة لا يعني إقصاء بقية العناصر البيانيّة، فقد جاءت متآزرة ضمن نظام متكامل من العلامات، جعلت من البيان مفهوما شاملا متّسعا، نقل البلاغة من حيّز اللفظ إلى فضاء الكون؛ بل نقلها "من مستوى القول إلى مستوى السلوك، ومن النشاط الكتابي إلى النشاط الإنساني"، (2020م، ص9) تجلّى ذلك في استنباط المعاني التّثقيفيّة التي تعدّ طريق الإنسان للوصول إلى معانيه الكونيّة، وهي الغاية الكبرى "ليكون للوجود معنى ترتبط به كل المعاني في تماسك نصي واكتمال بياني". (1445هـ، ص41).

2- النّموذج البلاغيّ عند السّكاكي

كان السّكاكي ملهما لمشروع البلاغة الكونيّة في هيكلته. فقد ذكر الصّاعدي أن ثمة بنية عميقة في عقل الإنسان وفي النظام الكوني، وفي أنظمة الدّين ومقاصد الشّريعة؛ قام عليها التفكير البلاغيّ في مستوياته الثلاثة: التّركيب والتّصوير والتّحسين، (المعاني والبيان والبديع)، فجاء متّسقا مع النّظر الكوني الذي يقوم على "نظرة تقع على مبصراته، وأخرى تقع على صوره، وثالثة تقع على علاقاته التي تربط بين موجوداته من خلال الصور"، (2020م، ص18)، ويذكر مدلّلا على صحة دعواه أن أنظمة خلق الإنسان وأطواره، وأنظمة الدّين وكليّات شريعته إنّما قامت على قسمة ثلاثيّة غائرة في الكون وفي الإنسان تفهم في سياق المقابلة. وامتدادا لعلوم البلاغة الثلاثة "يمكن النّظر إلى البناء البلاغيّ في هيكلته الثلاثية على أنه مشروع ذو صيغة كونيّة تتسع لتشمل الإنسان والبيان والكون من جهة، كما تشمل الفكر والخيال والذوق من جهة ثانية"، (2020م، ص26). وهكذا يكون السّكاكي قد دفع بالبلاغة في سياق الإنجاز إلى طور جديد "من أطوار بنائها الكوني في هيكل ثلاثي الأبعاد قابل للاتساع والرحابة؛ فهيأها لأن تكون بلاغة كونيّة في وسعها أن تنتقل من فكرة الإعجاز إلى فكرة الإنجاز". (2020، ص8).

وعليه فإن ثمة بنية كونيّة للبلاغة عند الصّاعدي داخل قسمتها الثلاثيّة لأنها بنية يمكن أن تُبنى عليها قيمٌ إنسانيّة كونيّة كبرى؛ إذ المعاني يقابل الحق، والبيان يقابل الخير، والبديع يقابل الجمال. ومن زاوية أخرى فإنّ كليّات الشريعة أيضا تقابل القسمة الثلاثيّة، فالضروريّات تقابل الإسناد والتركيب في المعاني، والحاجيّات تقابل المجاز في البيان، والتحسينات تقابل التحسينات في البديع (2020م، ص19)، منتهيا إلى أن "التقسيم الثلاثي للبلاغة في منجزها التّصنيفي ذو أساس متين شامل ينطلق من رحابة البيان الشّرعي المؤسس على البيان القرآني". (2020م، ص19). ولأجل ذلك شرع الصّاعدي في بناء عناصر البلاغة الكونيّة قياسا على القسمة البلاغيّة الثلاثيّة، ستقف الدّراسة عندها في القراءة النّسقيّة.

3- النّموذج البديعيّ

اتّخذ الصّاعدي من النّموذج البديعي في البلاغة دليلا على مشروعيّة البلاغة الكونيّة؛ مؤكدا أن النّظر إلى البديع نفسه يختلف "باختلاف الرُّؤية التي يصدر عنها الناظر". (1439هـ، ص 274)، فجاءت الأصول البديعيّة عنده بنية كونيّة تشكّلت بالاستفادة من قانون التّناسب الكوني، الذي يؤدي عنده إلى أشكال بديعية مختلفة يؤلف بينها الانسجام، ومن أبرز هذه المعالم التّضاد والتّقابل، وأن "النّظر إلى ما بينهما من الحركة الزمنية التي تتضمن: الإيقاع والعود على البدء.. والنّظر إلى التفاعل الكوني في هذا الفضاء الرحب باستعارته والتعبير به من خلال تراكيب جديدة طريفة". (1439هـ، ص 275).

ويؤكد الصّاعدي أن ألوانا بديعية كالطّباق، والمقابلة، والجناس، وردّ الأعجاز على الصدور، تعدّ تمظهرات للمناسبة الكونيّة. يتجلّى مظهر الطّباق في المتضادات، ففي تكوين العالم الطبيعي، "حيث تبدو الأضداد ظاهرة في التّضاد بين الرطوبة واليبوسة: الماء واليابسة، والتّقابل بين الماء والهواء من جهة، والنار والتراب من جهة... وطبقا لذلك فإن تعادل الأضداد في البيان ينتج عنه تناسب جمالي بديع"، (1439هـ، ص 275)، وعلى هذا يعدّ الطّباق من مظاهر الكون الجماليّة التي ترتبط بالمعالم الطبيعيّة. أما المقابلة فهي امتداد للطباق، لكنها بديع كوني أوسع "بسبب حضورها كثيرا في الأبعاد الجماليّة والفلسفيّة معا"، (2020م، ص139). ولأنها تحتوي ما هو أوسع من النّص الواحد، فتتجاوزه إلى النّصوص المتعددة؛ بل قد تصل إلى مستوى الرُّؤية عامة. وهي ظاهرة بديعيّة ترتبط بالتّصور والتّفكير. أمّا الجناس فيمثل التّام منه أعلى درجات الإيقاع، وهو عنده أصل البديع الإيقاعي، وعنه يتولد "كل ما هو من قبيل التشكيل الإيقاعي من فنون البديع السمعية". (2020م، ص 146)، ويلحق بهذه الأصول الاستعارة المكنية "لأنها ذات بعد كوني، يتجلّى في التركيب البديع الطريف الذي يجعل للدهر ساعدا وللريح يدا، وهكذا، فهي أداة من أدوات التفاعل الكوني". (2020م، ص139). إنّ كل هذه الظواهر عنده أدوات للتأويل الكوني راسخة في التّصور، بمعنى أنها ترتبط بمستوى التّصور والتّفكير الكلي لا بالوظيفية التحسينيّة فقط.

ولتأكيد كونيّة البديع، ومشروعيتها ضمن كونيّة أكبر ممثلة في القسمة البلاغيّة الثلاثيّة، يرصد الصّاعدي ثلاثة فضاءات للبديع، وهي: الكوني، والإنساني، والبياني. وهي عنده أنماط متداخلة توازي نموذج الكونيّة الممثل في فردية الإنسان، وعلاقاته، وتفاعله مع الكون. والذي يظهر لنا أن شيئا من التوتر أصاب هذه القسمة. فقد ألمح الصّاعدي إلى أن نموذجه الكوني يبدأ من الخاص إلى العام، أعني بداية الإنسان فردا، ثم بناء عالمه الخاص، ثم انضمامه إلى المجتمع، ومنه إلى عالم إنساني أكبر، كل ذلك في قسمة منطقية، لكننا نجده بدأ في كونيّة البديع بالعام (الكوني) قبل الخاص (الفردي)، وكان حق ذلك أن يبدأ بالإنساني وما يتصل به من الجانب البيولوجي أو خلق الإنسان، ثم الجانب الطبيعي وربطه بنمو الإنسان عبر الزمن، وصولا إلى الجانب

التاريخي وأبعاده الحضارية والثّقافيّة. وهذه المخالفة في البناء النّظري شأنها أن تربك القارئ وتعرقل فهم العلاقة بين كونيّة البديع وكونيّة البلاغة، إلا إذا افترضنا أنها علاقة جدليّة تفاعليّة تبيّن كيف ينفتح العامّ ليحتوي الخاصّ دون أن يلغيه، وتراعي تدرّج التجربة الإنسانيّة وتكامل مستوياتها. فالفرد لا ينفصل عن المجتمع الذي ينتمي إليه، وسلوكه الصّالح لا يكتمل إلا في سياق تفاعله مع الآخرين، كما أنّ تأمّله للكون لا يكتسب معناه إلا بقدر ما ينعكس على وعيه بذاته وممارساته اليوميّة. ومن هنا تصبح جدليّة العلاقة بين الخاصّ والعامّ جوهريّة؛ لأنّها تحدد صورة الإنسان في أبعادها الفرديّة والجماعيّة والكونيّة على حدّ سواء.

تأسيسا على ما سبق فقد ارتأى الصّاعدي تكوين النّموذج الرّابع، أعني النّموذج البلاغيّ الكوني المبنيّ على هذه النّماذج البلاغيّة الثلاثة. وهو نموذج سداسيّ يبدأ بالإنسان وينتهي إلى الفضاء، وسيأتي بيان هذا في القراءة النسقيّة من هذه الدّراسة.

ثانيا: الرّافد البلاغيّ الجديد.

أما الرّافد البلاغيّ الجديد فيتجلّى في استلهام مقولات البلاغيّين المعاصرين الذين قدّموا قراءات للتّراث ومن أبرزها:

1- المعنى التّكليفي والمعنى التّثقيفي عند محمود توفيق -رحمه الله-

ذكرت الدّراسة أن سؤال المعنى هو السؤال الأثير في البلاغة الكونيّة، انطلاقا من أهميته في الرُّؤية البيانيّة قوليّة وكونيّة. وفي سياق سؤال المعنى تحضر المعاني التّكليفيّة والمعاني التّثقيفيّة التي تحدث عنها محمود توفيق -رحمه الله-؛ نظرا للدّور المركزي الذي تؤديه هذه المقولة في صياغة البلاغة الكونيّة. فقد ذهب محمود توفيق -رحمه الله- (1442هـ، ص50)، إلى أن المعنى الحاصل من امتزاج المعنى العقلي، والمعنى النّفسي التّأمّلي، يتجلّى في سياقين، قال رحمه الله:

"الأول: سياق تكليف يكون للمعنى العقلي ظهور على المعنى النّفسي. بيد أن هذا المعنى النّفسي القائم في المعنى العقلي لا يغيم على ذي بصيرة. والآخر: سياق تثقيف لتقبل النفس على ما حمله المعنى العقلي من أمر بمعروف، ومن نهي عن منكر إقبال محبة ناشئة عن رؤية الخير فيما أمرت به ورؤية الشر فيما نهيت عنه. وهي إذ تفعل هذا ترتفع من مقام الطاعة خوفًا إلى مقام الطاعة حبا، وكل عمل أنتجته الطاعة حبا كان أكمل وأتقن".

إن المعاني المقصودة في هذه الصورة هي معانٍ إدراكية ناتجة عن تعاضد المعاني العقليّة والمعاني النّفسيّة التّأمّلية التي يتجلّى فيها النّظر البلاغيّ، والمعنى الإدراكي عنده هو المعنى الذي يقع في قلب متلقي البيان

من تبصّره فيه وفي سياقه، وهو مختلف باختلاف المتلقين، (زيني، 1445هـ، ص 3462)، أو كما قال محمود توفيق –رحمه الله– "هو كل ما يدركه ويستنبطه أهل العلم من النّص في السياق المقالي والمقامي للبيان وفقا لأصول وضوابط الفهم والاستنباط"، (1442هـ، ص43). والمعنى التّكليفي هو المستنبط من المعنى الأصولي، أما التّثقيفي فهو ممتد تستنتجه النفس لتتزكى وتقبل إلى أمر الله رغبة ومحبة. ثم ينتج عن ذلك أنّ لكلّ معنى تثقيفي معنى تكليفي يمتزج به ويتعالق معه، وقد يغلب ظهور أحد المعنيين على الآخر بيد أنهما لا ينفكّان في الآية الواحدة. ومن هنا فقد كانت هذه المعاني مدخلا إلى كونيّة البلاغة، استفاد منها الصّاعدي في تطبيق الكونيّة على معالم القرية. فالتّكليف والتّثقيف ثنائية مركزيّة في الرُّؤية البيانيّة، إلى جانب ثنائيّات أخرى متممة لها، وهي: المتكلّم والمخاطب، واللّفظ والمعنى، والفهم والإفهام. (1445هـ، ص42).

وعليه فإن كونيّة البلاغة تتجلّى عند النّظر في المعنى بالجمع بين السياق التّكليفي والسياق التّثقيفي، "وهو ما يطرح إمكانية الجمع بين المعالم والمفاهيم في نموذج قرآني كوني يستلهم معالم القرية لتأسيس رؤية تتسق مع رسالة البيان القرآني للعالمين". (1445هـ، ص46). ويُفهم منهج الصّاعدي في نموذجه التّثقيفي عند التّطبيق، فقد قرأ معالم مكة المكرمة قراءة بلاغيّة كونيّة، بواسطة ثلاثة مداخل: تحديد الدّلالة، والربط بين المعالم والمفاهيم، والمزج عند القراءة بين إدراك السياق التّكليفي واستنباط السياق التّثقيفي. وسنحاول الكشف عن هذه المداخل بربطها بمستويات التّأويل التّقابلي في موضعها من هذه الدّراسة.

2– التّأويل التّقابلي عند محمّد بازي

قلنا إن أحد أهم الأسئلة البلاغيّة المركزيّة التي قامت عليها البلاغة الكونيّة يتمثل في سؤال (المعنى)، والبحث عن كيفية تعامل الإنسان مع المعنى؛ إذ يرى الصّاعدي أنّ لكلّ إنسان معانيه الخاصّة التي يؤطّرها معنى كلي شمولي، وما حياة الإنسان إلا بحثٌ عن معنى يطمئن به ويهتدي إليه؛ وبهذا فالمعاني توفيقيّة منه تعالى يلهمها لعباده فيعبدونه حبا ويطيعونه رغبة في الإقبال عليه سبحانه للفوز برضاه. وسبيل الإنسان للوصول إلى معانيه الخاصّة يُلزمه تفعيل طاقاته التّأويليّة، ومن هنا فقد انطلق الصّاعدي من منطلقات تأويليّة منسجمة مع سؤاله البلاغيّ، فجاء المدخل التّأويلي وسيلة وليس غاية في ذاته لأنّه كلّما "تعلق النّظر بالمعنى تعلق بالقصد، والبحث عن المقصد أَوْلٌ وتأويل، أي إرجاع المعنى إلى أوله والمقصود به أولا وأخيرا". (بازي، 2015م، ص205)، مؤكدا أن البلاغة تحمل نسقا كونيّا يمكن الإفادة منه باستخدام طرق التّأويل المختلفة، وإعمال الذوق عند استنباط المعاني التّثقيفيّة. وجاء منهجه في قراءة الكون واستنباط المعاني المستلهمة منه بواسطة الأدوات البلاغيّة البيانيّة، أي النظام البلاغيّ البياني بدلالاته الخمس، يقول الصّاعدي: "فقد كانت وجهتي نحو مسار بلاغي كوني، يستثمر مباحث البلاغة وأدواتها وقبل ذلك فلسفتها البيانيّة والبديعيّة في قراءة العالم وتأويله ورصده معرفيا وجماليا". (1445هـ، ص14) بمعنى أنه زاوج

بين النّظر البلاغيّ القديم ممثلا في البلاغة السّكاكيّة، والنّظر البلاغيّ الحديث ممثلا في التّأويليّة التّقابليّة، إلى جانب بعض الأدوات البلاغيّة التي ذكرنا.

والجدير بالذكر أن التّقابليّة ذات نزوع بلاغي وجودي ينسجم مع وجوديّة البلاغة الكونيّة، والقول البليغ تقابليّا –حسب تصور محمّد بازي– "يؤسس كينونة بليغة فعلية، والخطاب البليغ بالتّقابل يحوّل الوجود إلى معنى دال له راهنيته ما دام الإنسان يحيا بالمعاني، ويبني بها معرفته بالكون، وينتقل بالمعاني من حال إلى حال، (بازي، 2020م، ص86)، وتقوم فكرة التّأويل التّقابلي على "التواجه الحاصل أو المحدث بين بنيتين أو أكثر (داخل النّص وخارجه)، بأي شكل من أشكال التّقابل الممكنة إنتاجا وتأويلا". (بازي، 2015م، ص209)، وتهدف إلى "تعزيز منظور البلاغة الكبرى بالتموضع الوجودي المناسب الدال على أننا معنيون بالخطاب في كل صغيرة وكبيرة، وأن المعاني التي أفضى إليها جهد التّأويل لا تكتمل إلا بتحويلها إلى فعل مؤثر في المعرفة والوجود". (2020م، ص106) وعليه فإن العلامة الكونيّة التي نصادفها فنفهمها ونتأمّلها عبر مقابلتها بغيرها، شأنها أن تمنحنا معانيَ جديدةً نؤسس عليها فهمنا وإدراكنا للواقع وللكون وللحياة، وهذه المعاني ستنعكس على سلوكنا، وعلى وضعنا الاجتماعي والثّقافيّ.

وإذا كانت الحركة التّأويليّة التّقابليّة تنطلق وفق المسارات الآتية: "الاستكشاف بمنظور التّقابلات، تحديد تواجهات البنيات، مواجهة البنيات بالموازيات والمرجعيات، تفعيل سيرورات التواجهات، بيان العلاقات، ثم الخلوص إلى المعاني والدّلالات ودلالات الدّلالة"، (2020م، ص106). فإنّه يمكن تلمّس ذلك في كونيّة الصّاعدي؛ إذ بدأ ممارسته التّطبيقيّة من خلال استكشاف معالم القرية بكل ما تحمل من علامات ورموز تُفهم عند ربطها بما يقابلها ويناظرها، ثم شرع في تكوين بنى تقابليّة معتمدا على تجربته التّأويليّة ومقدرته على الربط بواسطة الذوق والخيال، مكوّنا علاقات بين هذه البنى، مستنبطا معانيَ ودلالات مختلفة. يقول "صرت أرصد العالم في تمثّلاته التي أرى فيها التّناسب الجمالي في تقابلاته وتناظراته، وقبل ذلك في تأليفه وتركيبه، حتى شعرت أنّ ثمّة منهجا ثاويا في منهج التّذوق البلاغيّ... وأنّ هذا المنهج البلاغيّ في صيغته الكونيّة يحتوي على إمكانات تأويليّة"، (1445هـ، ص12). وذلك يؤكد تجاوز التّأويل التّقابلي مستوى البيان القولي إلى مستوى البيان الكوني.

3– الاستعارة التّصوريّة عند لايكوف وجونسون

إذا كانت الاستعارة التّصوريّة تقول لنا: إن الاستعارة أداة معرفية تنظم الفكر البشري، وتنشأ في الذهن، ولواقع الإنسان أثر في تشكيلها، "وتنتهي بعملية الإسقاط بين المجالات، وإدراك المقاصد، وتحصيل المعنى، وتكوين مفهوم جديد يضاف إلى المفاهيم القارة"، (الصغير والمصراوي، 2020م، ص36) فإنّ البلاغة الكونيّة تستدعي هذا النّمط الذّهني لكشف العوالم الثّلاثة التي بنيت مقايسة على ثلاثية السّكاكي، كشفا يؤكد

وحدة التّفاعل الكوني؛ وذلك لتوسيع النّظر في الصّورة ونقلها إلى مستوى المشهد، بالتّالي إلى العالم، "وبذلك تحولت الاستعارة من علاقة مبنية على مشابهة بين طرفين إلى علاقة كلية بين عناصر مشتركة في إطار تصوري وعالم مستعار يصح وصفه بالاستعارة الكبرى"، (2020م، ص11)، ويستند الصّاعدي إلى "الأبعاد الذهنية والتّصوريّة للبيان بمعناه الخاص في عوالم موازية هي: الطفولة والحلم والفن"، (العمري، 2024م)، يدرس كل عالم منفردا لاعتقاده أن الانتقال من الطفولة إلى الفن يعكس التربة الإبداعية للإنسان، "وذلك ما يجعل من هذه العوالم الثلاثة وحدة مترابطة تتشكل بها الرُّؤية ويصبح الكون فيها أداة وفضاء للتعبير في الوقت نفسه"، (2020م، ص 105). حتى يغدو عالما واقعيا يوازي العوالم الثلاثة التي تعدّ مكونه الأساسي. ولا يكتفي الصّاعدي بالإفادة من الاستعارة التّصوريّة في مقاربة عوالم البيان؛ بل يمدّ جدواها إلى سياق التّمثيل حيث الصلة بين المعالم والمفاهيم لاعتقاده أن عمليّة تأويل العلامات الكونيّة قائمة على الاستنباط، والاستنباط يحمل أصلا "بنية تصورية إدراكية ذات سخاء دلالي لارتباطها ببيان الوحي السخي، كتابا وسنة، وهو ما يكشف عن عمق دلالي لهذا المفهوم". (الصاعدي، 1442هـ، ص38).

المبحث الثّالث: تجليّات البلاغة الكونيّة التّطبيقيّة، قراءة نسقيّة.

إن أول ما يلفت الانتباه في الإجراءات التّطبيقيّة عند الصّاعدي أنه سلك في مشروعه سبيل الاستنباط، فبدأ بقراءة المعطى البلاغيّ التّراثي من خلال الأسس التي سبق ذكرها، ثم حاول أن يبحث عن قرائن في البلاغات الجديدة وفي الحقول المعرفية المجاورة ليكون منظومة نسقيّة تجمع بين القديم والجديد، فجاء الاستنباط أداة منهجيّة تكشف عن الرّوابط والعلاقات داخل النّسق البلاغيّ. وطرائق الاستنباط هنا مرتبطة بتوجه القراءة التثويري، فالبلاغة الكونيّة تحاول تحويل العلامات المختلفة إلى أدوات وعي وتغيير وكشف عن البنى المعنويّة العميقة. وهو يربط بين نتائج قراءة الكون والتّحولات الخلقية، فالسلوكيّة، فالاجتماعيّة لأن القراءة التثويريّة تركّز على الواقع وتعمل على تحريك الوعي الفردي، وهو بدوره سيدفع بالوعي الجمعي إلى التّطوير والتغيير الإيجابي في المجتمعات.

وبعد أن وضع الصّاعدي نسق البلاغة الكونيّة نظريّا، مرتكزا على النّماذج البلاغيّة الثّلاثة: (النّموذج البياني عند الجاحظ، النّموذج البلاغي عند السّكاكي، النّموذج البديعي) وطّد لنموذجه السداسيّ القائم على المستويات الآتية:

-(إنسان البيان): يبدأ الإنسان فردا بتكوينه عالمه الخاص. وفي هذا المستوى قارب الصّاعدي "تشكيل البيان بأطوار خلق الإنسان للكشف عن التّعالق والتّماسك بين المستويات البلاغيّة". (عقيبي، 2025م).

-(مجتمع البيان): ينخرط الإنسان في المجتمع بدءا بالأسرة وانتهاء بالمجتمع الإنساني، "وظهرت حركة نمو البيان في هذا المستوى بامتداده من الجملة إلى النّص خاضعة لحركة نمو وتطور المجتمع في امتداده التاريخي". (عقيبي، 2025م).

-(عوالم البيان): يتفاعل الإنسان مع الكون من خلال اللُّغة المجازية، في الوقت الذي يصنع فيه واقعه، ويفهمه من منظور جمالي. وبين هذا المستوى "عالم التصور في المجاز الذي يستمد من عالم الواقع تجاربه فينقلها لكنه يزيدها عمقا واتساعا في عالمها الفني مما وسع مفهوم الصورة البلاغيّة القائم على علاقة المشابهة". (عقيبي، 2025م).

- (معالم البيان): تتجلّى فيه التجربة الجماليّة، وهو المستلّ من علم البديع. وتكمن الإضافة فيه في ربط المعالم الكونيّة بالمستويات الجماليّة التّشكيليّة.

-(تلقّي البيان): يتّضح دور المخاطب في تلقي البيان؛ إذ يخرج هنا المستوى البلاغي إلى كيفيّات تفاعل المتلقي مع الخطاب وإسهامه في إنتاج المعنى. يأتي ذلك ربطا بأضرب الخبر في البلاغة. ويتحقق هذا التلقي في ثلاثة مستويات:

الأوّل: مستوى الفهم؛ حيث يدرك المتلقي المعنى المباشر للخطاب.

الثّاني: مستوى التّذوق، يتفاعل فيه المتلقي مع البعد الجمالي.

الثّالث: مستوى التّأويل، يعيد فيه المتلقي بناء المعنى أو يرفضه ضمن سياق جديد.

وعلى الرّغم من الطابع المعرفي الذي اتّسم به هذا المستوى، وارتكازه على بنية بلاغيّة أصيلة فإن افتراضه فاعليّة المتلقي المستمرّة في إنتاج المعنى يغفل أحيانا خصوصيّة بعض الخطابات التي تقيّد التّأويل بطبيعتها أو بسياقها، فضلا عن تفاوت قدرات المتلقين في إدراك المعاني والبنى الغائرة في النّصوص والخطابات المختلفة.

-(فضاء البيان): في هذا المستوى يكتمل النّسق ضمن جانبين هما: التّصوريّ والتّقابلي، "فانتقل التحليل من مستوى البيان إلى مستوى الكون" (1441هـ، ص13). بمعنى أن البلاغة تتحوّل إلى أداة ثقافيّة قارئة للثقافات المختلفة، وبهذا يصبح النّسق السّداسي نسقا ثقافيّا كونيّا.

ولعلّ التجربة الإبداعية تتجلّى في المستوى الأول: إنسان البيان؛ لأنّ الإنسان هنا يعبّر عن إنسانيّته بشتّى وسائل التّعبير الممكنة، ساعيا إلى تمثيل تجربته الوجوديّة، وإلى صياغة وعيه بذاته وعالمه. ففي هذا المستوى تغدو اللغة أداة فاعلة لتشكيل البنية الدّاخلية للفكر الإنساني بتكامل بين اللفظ، والرموز، والإشارات، والصّور.

ثم ختم النّسق بتصور يعالج البناء جماليا عن طريق البديع مستلهما القاعدة البيانيّة المتينة التي خلفها البلاغيّون في قراءتهم قول الله تعالى: (وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) سورة هود، الآية:44 ليؤكّد ظهور ملامح البديع الكونيّة التي تجلت في النّظم، وفي ظواهر، منها الطّباق والتّقابل بين لفظين وما خلفه من توافق صوتي، ومنها الاستعارة، وردّ الأعجاز على الصدور، لتصبح الآية "هي النّموذج لتأصيل البديع الكوني". (2020م، ص166). فبالإضافة إلى السّمات البيانيّة واللُّغويّة تتجلّى في الآية جملة من الأحداث الكونيّة تمثّلت في الحياة الجديدة بعد الطوفان وما بني عليها من سلوك وتفاعل بشري، وهنا تنتقل الصّورة البيانيّة إلى فضاء الكون وتمثّلاته، أعني الانتقال من حيّز النّص إلى فضاء الكون. ثم انتقل هذا التّصور إلى الحديث عن دور المتلقي الذي ستقع على عاتقه مهمة قراءة هذه البنى بكل مضامينها، وهي قراءة ترتبط عند الصّاعدي بمباحث تلقي المخاطب للخبر في البلاغة العربيّة، كما اتّضح ذلك في مستوى تلقي البيان.

وبناء على ما سبق فقد جعل الصّاعدي مداخل مشروعه الكوني -وهو تقابلي في جوهره كما أسلفنا- رابطة بين مفاهيم الكون ومعالمه. وتمثلت نواة النّموذج -تطبيقيّا- في كونيّة مكة المكرمة، وهذه المداخل يمكن إعادة قراءتها بمزاوجتها بالمستويات التّقابليّة الآتية:

1- مستوى التَّداني الدّلالي: "ويتضمن تحرير المعنى، تقرير المعنى، تكرير المعنى"، (جلال، 2015م، ص 293) عبّر عنه المشروع بالمدخل الدّلالي، وذكر فيه الفروق الدّلاليّة بين مفردتين لهما دور في صياغة المعنى الكوني لمكة المكرمة، وهما: القرية والمدينة. وذلك من خلال التّنقيب في الأصل اللُّغوي والمعنى المعجمي

لهما، وبيان اختلاف سياقاتهما في القرآن الكريم.؛ إذ يقوم مستوى التّداني الدّلالي، في إطار المدخل الدّلالي، على تحرير المعنى من خلال تتبّع تكراره في ألفاظ متقاربة يكشف كلّ منها عن خصوصيّة دقيقة تثري الدلالة الكلّية للنّص. ويتجلّى هذا بوضوح في تمييز القرآن الكريم بين مفردتي القرية والمدينة عند الإشارة إلى مكّة المكرّمة؛ فالقرية في أصلها اللُّغوي تحمل معنى الاجتماع والالتئام حول مكان واحد، في حين أنّ المدينة تفيد معنى التمدّن وما يستلزمه من نظام واستقرار. ومن ثمّ فإنّ ورود اللّفظين في السياق القرآني يأتي متكاملًا، ليقدّم صورة مركّبة تعكس مكانة مكّة بوصفها موضع اجتماع بشري وروحي، ومركز نظامي ديني وحضاري في آن واحد.

2- مستوى التّوازي الدّلالي: "ويتضمن تبرير المعنى، تنوير المعنى، تطوير المعنى، يمثل حالات بين – بين"، (2015م، ص239). وعبّر عنه المشروع بمدخل تقابلي يوازي فيه بين أمّ القرى ومن حولها، (1445هـ، ص31) عالج فيه حدود التّسمية، ووازى بين مكة وسورة الفاتحة من خلال تسميتين متوازيتين هما أمّ القرى وأمّ القرآن، ثم مدّ المعنى تحت مفهوم الكثافة والامتداد ليثبت الصّلة الدّلالية الوثيقة بين أمّ القرى وأمّ القرآن.

3- مستوى التّقاصي الدّلالي: "ويتضمن تمرير المعنى، تحوير المعنى، تثوير المعنى، متجسّدا في سلطة القصد التّأويلي"، (2015م، ص239) وعالج المشروع هذا المستوى معبرا بسياق التّكليف وسياق التّثقيف (1445هـ، ص41)، وهو لبّ القراءة وجوهرها، فلا تخفى العلاقة بين التّثوير والتّثقيف؛ إذ يُعنى كلاهما بتحريك المعنى وتوليده دلالات جديدة، بيد أنّ التثوير يمثّل عمليّة تحريك المعنى من حالته السّاكنة إلى فضاء يتّسم بالمرونة والانفتاح على احتمالات متعدّدة، فيُحرِّر المعنى من انغلاقه ويُفعّل طاقته الدلاليّة الكامنة. أمّا التّثقيف فهو الوجه المكمّل لهذه العمليّة؛ حيث يعمل على تهذيب تلك الدّلالات المستجدّة وتنظيمها وتوجيهها في إطار معرفي وتأويلي يضبط حركتها ويكسبها غاية محددة.

وأفاد المشروع من هذا المستوى في رسم تصاعديّة المعاني من سورة الفاتحة حتى سورة الإخلاص، لتعزّز اقتران أمّ القرآن بأمّ القرى، "حين يتوجه العبد إلى ربه في الصلاة، فيولي وجهه شطر المسجد الحرام"، (1445هـ، ص45)، فعند النّظر في حركة المعاني داخل البنية القرآنية وفق مستوى التّقاصي الدّلالي يتبيّن أنّ عمليّتي التّثوير والتّثقيف تمثّلان الآليّة التي تتيح للمعنى أن يتصاعد ويتنامى من سورة الفاتحة باعتبارها أمّ الكتاب إلى سورة الإخلاص التي تُجسّد قمّة التوحيد الخالص. فالتّثوير يأتي كاشفا عن طاقات النّص الكامنة، ومحرّكا دلالاته باتجاه مقامات أسمى من الفهم والتأويل، في حين يتكفّل التّثقيف بتهذيب هذه الدّلالات وتوجيهها نحو مقاصدها العقديّة والتعبّديّة. ومن ثمّ فإنّ هذا التّصاعد الدّلالي لا يقتصر على كونه انتقالاً من سورة إلى أخرى، بل هو بناء تدريجي يُرسّخ اقتران أمّ القرى بأمّ القرآن؛ حيث يجد العبد نفسه في لحظة الصّلاة وقد ولّى وجهه شطر المسجد الحرام، مستحضرا بذلك وحدة المقصد ووحدة القبلة:

قبلة القلب في الفاتحة، وقبلة الجسد في الكعبة. وهكذا تتجلّى العلاقة التكامليّة بين التّثوير والتّثقيف في إنتاج معانٍ جديدة تعكس انسجام النّص القرآني مع فعل العبادة ومقاصدها العليا.

وفي إطار محاولة الصّاعدي إيجاد نسق نصّي منظّم استعان بالمقابلات التي أجراها بين عدد من المفاهيم المنتقاة. ففي معالم القرية الكونيّة يبدأ بالجبل، ثم الوادي، إلى البئر، ثم الشجرة، ثم المسجد، وهذا يرسم حركة دائرية للمعنى يشبهها بردّ العجز على الصدر؛ حيث ينزل الوحي على الجبل ويُقرأ في المسجد ثم يعود إلى السماء، وهي عناصر نصيّة مكانيّة كونيّة أكثر من كونها بيانيّة، وكلها ترتبط بأحداث مقدّسة تمثّل عنده مفهوم الكثافة. أمّا الامتداد فبالانتباه إلى أن مكّة هي القبلة، وأن قداستها ممتدة إلى سائر أقطار العالم. ويستعين عند محاولته ضبط هذا النّسق ببعض السرديّات التي فتحت له آفاقا للتخييل وامتدادا بالتّأويل إلى أبعاد رحبة. ولا شكّ في أنّ هذا الفتح إنما أُتيح للصّاعدي بسبب نزوعه الفنّي وتجربته الأدبيّة، فسلك مسالكَ إبداعية إيمانا بأنّ الاستنباط يحمل في طيّاته قوى خياليّة، وبأنّ المزج بين العلمي والأدبي يتيح للباحث قدرات علميّة فذّه تمكّنه من التّعامل مع اللُّغة مجازيّا.

قلنا: إنّ الانتقال من سياق التّمثيل إلى سياق التّمثُّل فكرة مركزيّة تصلح لأن تكون آليّة لتحقيق سؤال الإنجاز. فبواسطة التّأويل التّقابلي وجد الصّاعدي أنّ المعاني لا تكتمل إلا بتحويلها إلى فعل مؤثّر في المعرفة والوجود، وهذا الفعل المؤثّر يتجلّى في تمثّل الإنسان لكلّ ما يتدبّره ويتأمّله فيتعبّد به، وهكذا يصبح الفرد عضوا فاعلا في مجتمعه بسلوكه القويم. ومن ذلك جاء تأمّل الجبل في المشروع، والخروج من تدبّر سياقاته في القرآن بصفات خلقيّة مستعارة من طبائع الجبل نفسه، وبهذا النّظر تفهم السّياقات التي أورد فيها القرآن الكريم معانيَ مستلةً من صفات الجبل "جاوزت التّمثيل إلى الامتثال والتّمثُّل، والمجاز إلى الحقيقة، وذلك ظاهر في سلوك الأنبياء عليهم السلام وعلاقتهم بهذه الأماكن في خلواتهم وسياحتهم التعبّديّة والتّأمّليّة" (1445هـ، ص61). ولذا فقد جهد الصّاعدي في معالم القرية الكونيّة لتركيب نموذج ينطلق من المكان (مكّة المكرّمة)، ويرتبط بكلّ المعالم الجغرافيّة المحيطة التي تشارك في صياغة معنى كلّي وشمولي يعود إلى الحُرمة، وبربط مفاهيم الكون المكيّ بعلامات القدسيّة، وبه يتحقّق تأمّل الإنسان وتمثّله لعظمة المكان واتصاله المباشر بالخالق. وهذه صورة من صور نقل البلاغة من (سياق التّمثيل إلى سياق التّمثُّل).

الخاتمة

يمكن إيجاز أهم النتائج التي توصلت إليها الدّراسة في الآتي:

-طرح مشروع البلاغة الكونيّة تصوّرا بلاغيّا شموليّا يرى الكون نفسه نصّا مفتوحا للتّأويل.

-يُحمد لمشروع البلاغة الكونيّة خروجه إلى جوانب وجدانيّة وروحيّة تكسب الدّرس مرونة وحيويّة، وتخرج بالنّص من الحيّز اللغوي إلى التجربة الإنسانيّة عامّة.

-أكّد المشروع أنّ المزاوجة بين الطاقة التخييليّة والمجال العلمي تفتح آفاقا جديدة تصل بين البلاغة ومجالات السّرد، وتفيد من تقنياته المختلفة لتحليل النّصوص المتعدّدة.

-إنّ العمليّة التّأويليّة التي تجلّت في البلاغة الكونيّة هي عمليّة تحكمها مرجعيّات وحدود ضمنت لها المنطقيّة، فقد كانت مرتكزة على ضوابط التّأويل التي حدّدها العقل الأصولي وأقرّها العقل البلاغيّ.

-أكّد المشروع صلاحيّة الموروث البلاغيّ وإمكانيّة إعادة بنائه وتشكيله وفق رؤى وتصورات جديدة ومرنة تتصل بالواقع ولا تلغي أصالة ذلك الموروث.

-أكّد المشروع بينيّة الدّرس البلاغيّ، واتصاله المثمر بمختلف مجالات المعرفة الإنسانيّة والطبيعيّة، كعلم الأحياء، والفلسفة، وعلم الاجتماع، وعلم النّفس، والعلوم الشرعية المختلفة.

المصادر والمراجع:

بازي، محمد (2015)، بلاغة التّأويل وتساند الدوائر: محاورة تأويليّة نقدية مع د. محمّد بازي، مجلة اللسانيات وتحليل الخطاب، ع2.

بازي، محمد (2020)، نظريّة التّأويل التّقابلي مدخلا لمعرفة الوجود: قصة موسى مع الخضر منطلقا، مجلة بابل للعلوم الإنسانية.

توفيق، محمود.(1442)، سبل استنباط المعاني من القرآن والسنة دراسة منهجيّة تأويليّة ناقدة، القاهرة: مكتبة وهبة، ط2.

الجاحظ، عمرو. (1414) البيان والتبيين، تحقيق: حسن السندوبي، بيروت: دار إحياء العلوم.

جلال، سليمة.(2015)، نظريّة التّأويل التّقابلي من التأصيل إلى التجريب، الجزائر: مجلة فتوحات، ع2.

دحماني، أحمد.(2015) أصالة الفكر العربي في العلوم الإنسانية فكرة الكونيّة وجدلية التقليد اليوناني في الفلسفة العربيّة، مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مج9، ع1.

راضي، عبد الحكيم.(2006) الأبعاد الفلسفية والكلامية في تراث الجاحظ، القاهرة: مكتبة الآداب، ط3.

زيني، فاتن.(1445) منهج التدبر عند الشيخ محمود توفيق محمّد سعد المعنى القرآني أنموذجا، مصر: المجلة العلمية لكلية اللُّغة العربيّة بأسيوط، ع43، ج4.

الصّاعدي، سعود.(2008) تأويل النّص، دراسة في العلاقة المشتركة بين تأويل الرؤيا وقراءة النّص الشعري، الأعمال الثّقافيّة بجدة.

الصّاعدي، سعود.(2009) خارج العالم، الرياض: دار وجوه للنشر والتوزيع.

الصّاعدي، سعود.(2013)ساعة الرمل، الدمام: دار أثر للنشر والتوزيع.

الصّاعدي، سعود.(2013) صناعة البيان بحث في الموازنة بين صور المعاني، لبنان: مؤسسة الانتشار العربي.

الصّاعدي، سعود.(2015) الساحلي، رواية لبنان: مؤسسة الانتشار العربي.

الصّاعدي، سعود.(2017) عين شمس، بيروت: دار الفارابي.

الصّاعدي، سعود.(2020) البلاغة الكونيّة من الإعجاز إلى الإنجاز دراسة تأويليّة في فلسفة النّموذج البلاغيّ، عمان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

الصّاعدي، سعود.(1442) مفهوم الاستنباط ومكوناته في سياق الاستعارة التّصوريّة دراسة في التأصيل وأفق التّأويل، السعودية: مجلة العلوم الشرعية واللُّغة العربيّة بجامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، ع11.

الصّاعدي، سعود.(2022) ثالثة الأثافي، رواية دار مدارك للنشر.

الصّاعدي، سعود.(1445)عالم القرية الكونيّة دراسة في لطائف المعاني التّثقيفيّة نموذج قرآني كوني، الرياض: دار أدب للنشر والتوزيع.

الصغير، محمد. النّصراوي، جنان.(2020) التعبير بالاستعارة التّصوريّة عن التّقابلات الوجدانية في القرآن الكريم، بيروت: المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع13.

عبد اللطيف، عماد.(1442) البلاغة العربيّة الجديدة مسارات ومقاربات، الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، ط2.

عقيبي، فاطمة محسن.(2025) معالم البلاغة الكونيّة عند سعود الصّاعدي: قراءة في تأويل البلاغة العربيّة من منظور فلسفي كوني، السعودية: مقالات المختبر السعودي للنقد، على الانترنت https://engage.moc.gov.sa/saudi-criticism-lab/articles-and-studies/article/?item_id=556

العمري، وائل.(2024) قراءة في مشروع البلاغة الكونيّة، مقالة علمية على الانترنت-https://www.al-jazirah.com/2024/20240614/cm13.htm

نهاري، حورية.(2019) التّمثُّلات الدلالية للمفردات لدى طفل ما قبل التمدرس بحث في أوليات الاكتساب اللغوي، الجزائر: مجلة إشكالات في اللُّغة والأدب، مج8، ع5.

Bāzī, Muḥammad (2015), Balāghat altt’wyl wtsānd al-dawā’ir : muḥāwarat t’wylyyh naqdīyah ma‘a D. Muḥammad Bāzī, Majallat al-lisānīyāt wa-taḥlīl al-khiṭāb, ‘2.

Bāzī, Muḥammad (2020), nẓryyh altt’wyl alttqābly mdkhlā li-ma‘rifat al-wujūd : qiṣṣat Mūsá ma‘a al-Khiḍr munṭalaqan, Majallat Bābil lil-‘Ulūm al-Insānīyah.

Tawfīq, Maḥmūd. (1442), Subul istinbāṭ al-ma‘ānī min al-Qur’ān wa-al-sunnah dirāsah mnhjyyh t’wylyyh nāqidah, al-Qāhirah : Maktabat Wahbah, ṭ2.

al-Jāḥiẓ, ‘Amr. (1414) al-Bayān wa-al-tabyīn, taḥqīq : Ḥasan al-Sandūbī, Bayrūt : Dār Iḥyā’ al-‘Ulūm.

Jalāl, Salīmah. (2015), nẓryyh altt'wyl alttqābly min al-ta'ṣīl ilá al-tajrīb, al-Jazā'ir : Majallat futūḥāt, '2.

Daḥmānī, Aḥmad. (2015) Aṣālah al-Fikr al-'Arabī fī al-'Ulūm al-Insānīyah fikrat alkwnyyh wa-jadalīyat al-taqlīd al-Yūnānī fī al-falsafah al-'Arabīyah, Majallat Hīrūdūt lil-'Ulūm al-Insānīyah wa-al-Ijtimā'īyah, mj9, '1.

Rāḍī, 'Abd al-Ḥakīm. (2006) al-ab'ād al-falsafīyah wālklāmyh fī Turāth al-Jāḥiẓ, al-Qāhirah : Maktabat al-Ādāb, ṭ3.

Zaynī, Fātin. (1445) Manhaj al-tadabbur 'inda al-Shaykh Maḥmūd Tawfīq Muḥammad Sa'd al-ma'ná al-Qur'ānī anmūdhajan, Miṣr : al-Majallah al-'Ilmīyah li-Kullīyat alllughh al-'Arabīyah bi-Asyūṭ, '43, j4.

Alṣṣā'dy, Sa'ūd. (2008) Ta'wīl alnnṣ, dirāsah fī al-'alāqah al-mushtarakah bayna Ta'wīl al-ru'yā wa-qirā'ah alnnṣ al-shi'rī, al-A'māl alththqāfyyh bi-Jiddah.

Alṣṣā'dy, Sa'ūd. (2009) khārij al-'ālam, al-Riyāḍ : Dār Wujūh lil-Nashr wa-al-Tawzī'.

Alṣṣā'dy, Sa'ūd. (2013) sā'ah al-raml, al-Dammām : Dār Athar lil-Nashr wa-al-Tawzī'.

Alṣṣā'dy, Sa'ūd. (2013) ṣinā'at al-Bayān baḥth fī al-Muwāzanah bayna ṣuwar al-ma'ānī, Lubnān : Mu'assasat al-Intishār al-'Arabī.

Alṣṣā'dy, Sa'ūd. (2015) al-Sāḥilī, riwāyah Lubnān : Mu'assasat al-Intishār al-'Arabī.

Alṣṣā'dy, Sa'ūd. (2017) 'Ayn Shams, Bayrūt : Dār al-Fārābī.

Alṣṣā'dy, Sa'ūd. (2020) al-balāghah alkwnyyh min al-i'jāz ilá al-injāz dirāsah t'wylyyh fī Falsafat alnnmwdhj alblāghī, 'Ammān : Dār Kunūz al-Ma'rifah lil-Nashr wa-al-Tawzī'.

Alṣṣā'dy, Sa'ūd. (1442) Mafhūm al-istinbāṭ wmkwnāth fī siyāq al-Isti'ārah alttṣwryyh dirāsah fī al-ta'ṣīl wa-ufuq altt'wyl, al-Sa'ūdīyah : Majallat al-'Ulūm al-shar'īyah wālllughh al-'Arabīyah bi-Jāmi'at al-Amīr Saṭṭām ibn 'Abd al-'Azīz, '11.

Alṣṣā'dy, Sa'ūd. (2022) thālithah al-athāfī, riwāyah Dār Madārik lil-Nashr.

Alṣṣā‘dy, Sa‘ūd. (1445) ‘Ālam al-qaryah alkwnyyh dirāsah fī Laṭā’if al-ma‘ānī alttthqyfyyh namūdhaj Qur’ānī Kūnī, al-Riyāḍ : Dār adab lil-Nashr wa-al-Tawzī‘.

al-Ṣaghīr, Muḥammad. alnnṣrāwy, Jinān. (2020) al-ta‘bīr bālāst‘ārh alttṣwryyh ‘an alttqāblāt al-wijdānīyah fī al-Qur’ān al-Karīm, Bayrūt : al-Majallah al-Dawlīyah lil-‘Ulūm al-Insānīyah wa-al-Ijtimā‘īyah, ‘13.

‘Abd al-Laṭīf, ‘Imād. (1442) al-balāghah al-‘Arabīyah al-Jadīdah Masārāt wa-muqārabāt, al-Urdun : Dār Kunūz al-Ma‘rifah lil-Nashr wa-al-Tawzī‘, ṭ2.

‘Uqaybī, Fāṭimah Muḥsin. (2025) Ma‘ālim al-balāghah alkwnyyh ‘inda Sa‘ūd alṣṣā‘dy : qirā’ah fī Ta’wīl al-balāghah al-‘Arabīyah min manẓūr falsafī Kūnī, al-Sa‘ūdīyah : maqālāt al-Mukhtabar al-Sa‘ūdī lil-naqd, ‘alá al-Intarnit https : / / engage. moc. gov. sa / saudi-criticism-lab / articles-and-studies / article /? item _ id=556

al-‘Umarī, Wā’il. (2024) qirā’ah fī Mashrū‘ al-balāghah alkwnyyh, maqālah ‘ilmīyah ‘alá al-Intarnit https : / / www. al-jazirah. com / 2024/20240614 / cm13. Htm

Nahārī, Ḥūrīyah. (2019) alttmththulāt al-dalālīyah llmfrdāt ladá ṭifl mā qabla altmdrs baḥth fī Awwalīyāt alāktsāb al-lughawī, al-Jazā’ir : Majallat Ishkālāt fī alllughh wa-al-adab, mj8, ‘5.